المحاضرة التاسعة بعنوان

الدراسات الاجتماعية عند أوجست كونت 1798 – 1857 (فرنسي)

عناصر المحاضرة

- أولاً: ضرورة قيام علم الاجتماع.
- ثانياً: موضوع علم الاجتماع وأقسامه
- ثالثاً: أسس الدراسة ومنهج البحث في هذا العلم.

أوجست كونت (1798 – 1857)

- عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، وهو من أبرز مفكري القرن التاسع عشر الميلادي
- يعتبره الغرب منشأ علم الاجتماع في أوربا. فهو من أعطى علم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن.
- ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للمذهب الوضعي
- تتلمذ على يد الفيلسوف الفرنسي سان سيمون، الذي كان لأفكاره أثر كبير على نظرياته التي عرضها فيما بعد في أهم مؤلفاته: "محاضرات في الفلسفة الوضعية" و "نظام في السياسة الوضعية".

ينسب إليه المؤرخون الفضل كل الفضل في إنشاء علم الاجتماع الحديث، هذا وقد أشرنا في فصول سابقة إلى أن ابن خلدون هو أول من أنشأ هذا العلم وأرسي قواعده وعالج مسائله، غير أن بحوثه لم يتح لها ما كانت تستحقه من الذيوع والانتشار فظلت في طي الكتمان قرونا طويلة، وكان لابد من الانتظار حتى مجيء "كونت" في القرن التاسع عشر ليعلن من جديد ضرورة قيام هذا العلم.

أول من صاغ مصطلح علم الاجتماع هو أوجست كونت في القرن التاسع عشر الميلادي.

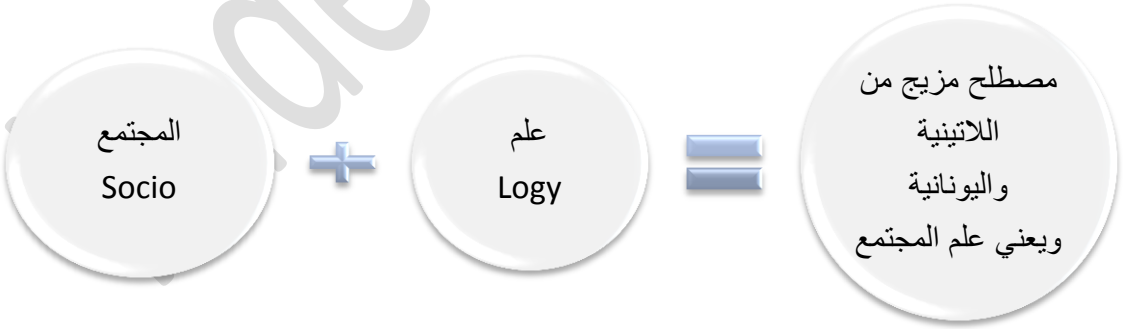

من أهم أعماله مقالة بعنوان: "نشرة عن الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع".

وقد أوضح في هذا المقال الذي مهد لقيام علم الاجتماع الحديث : قانونه الأساسي في طبيعة التفكير الإنساني؛ مشيراً إلى أن الفكر الإنساني يمر **بثلاثة مراحل عبر التاريخ**:

1. اللاهوتية (الثيولوجيا أو الخيالية)
2. الميتافيزيقية (المجردة)
3. الوضعية (العلمية)

أهم نظرياته

1. ضرورة قيام علم الاجتماع
2. موضوع علم الاجتماع
3. منهاج البحث في علم الاجتماع
4. نظرية التقدم الاجتماعي
5. نظرية كونت في الأسرة

من العوامل التي أثرت في كونت لإنشاء علم الاجتماع:

1. تفسير الظروف الاجتماعية السيئة والتغيرات الواسعة التي حدثت في المجتمع الفرنسي نتيجة للثورة الصناعية
- الأجور ومشكلات العمل

2. ظهور مشكلات اجتماعية متعددة نتيجة هذه الثورة مثل:
- انفصال الناس عن أسرهم لساعات طويلة
- سوء الأحوال السكنية

أولاً: ضرورة قيام علم الاجتماع

الضرورة التي جعلت "كونت" يميل إلى إنشاء علم الاجتماع **هي**: رغبته في إصلاح المجتمع وإنقاذه من مظاهر الفوضى الضارية.

وكان يرى أن أي تنظيم في هذه الشئون وما إليها لا يقدر له النجاح ولا يمكن تحقيق الغاية المرجوة منه إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومنهج للبحث وطرق التفكير.

لقد كان يرى أن الفلسفة ليست غاية في ذاتها ولكنها وسيلة للوصول إلى غايات عملية في شئون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين.

عندما وقعت الثورة الفرنسية، وبدأ المفكرون في وضع أسس الإصلاح الاجتماعي، اتخذ كونت من دوره كمصلح اجتماعي وسيلة لتأسيس علم جديد هو" علم الطبيعة الاجتماعية" الذي أطلق عليه فيما بعد" علم الاجتماع."

لقد تأثر أوجست كونت بالأحوال السياسية، والفكرية، التي سادت في عصره.

وقد شكل هذا أساسا لفلسفته الوضعية التي قامت في أساسها على دراسة الوقائع الاجتماعية دراسة علمية

فالمجتمع لكي يستقر ويتقدم ليس في حاجة إلى انسجام في المصالح المادية والمنافع المتبادلة فحسب، بل هو في حاجة إلى اتفاق عقلي.

لقد ألقى كونت نظرة مباشرة على المجتمع الذى عاش فيه فاتضح له الاضطراب العقلي الناشئ عن الاضطراب الخلقي، وهذا ناشئ بدوره عن الفوضى العقلية.

ولما كانت الحياة قائمة على دعائم من الأخلاق والمثل، فإن فساد هذه الدعائم وانهيارها، فساد للحياة وتقويض لأركانها.

ويخلص كونت إلى أنه لا سبيل للإصلاح الاجتماعي إلا بإصلاح الفكر الإنساني، وصلاحه يعني صلاح الأخلاق، وهذا بدوره يعني صلاح جميع فروع الحياة الاجتماعية.

hadeel alnatea

الفكرة إذن هي أساس النسق الاجتماعي .وهنا وجد كونت أن خلاص المجتمع من الفوضى العقلية يحتاج لفلسفة إصلاحية كوسيلة للوصول إلى غايات عملية في شئون المجتمع والأخلاق والسياسة .وبهذا المفهوم تعني الفلسفة علم الاجتماع.

إصلاح التفكير إذن هو أساس الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي.

ولكن ما هي الفوضى العقلية التي يقصدها كونت؟

وجد كونت أن المجتمع الفرنسي يعاني اضطراباً شديداً في التفكير، وهذا الاضطراب ناشئ عن وجود أسلوبين متناقضين للتفكير وفهم الظواهر، **وهما**:

1. الأسلوب العلمي الوضعي الذي يتجه إليه الناس في عصره أثناء التفكير في الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية.
2. أسلوب التفكير الديني الميتافيزيقي الذي يلجأون إليه عند التفكير في الظواهر التي تتعلق بالإنسان والمجتمع

وبمقتضى استمرار هذين الأسلوبين سوف يستمر الاضطراب الفكري الإنساني، بل وحدوث أقصى ما يمكن حدوثه من اضطراب في التفكير، إذ ليس بعد قبول النقيضين خلل في التفكير، ولا اضطراب في الفهم.

من هنا اطلق أوجست كونت على هذه الحالة اسم" الفوضى العقلية "ويصفها بأنها حالة من الفساد في الأخلاق والسلوك، وفساد شامل في الحياة.

لأن الفوضى العقلية هي التي أدت إلى فساد في الأخلاق والسلوك.

ولكن ما السلوك للقضاء على هذه الفوضى وهذا التناقض في أساليب التفكير؟

يعرض كونت في هذا الصدد ثلاثة حلول محتملة يمكن تصورها وهي:-

- أن نوفق بين التفكر الوضعي والتفكير الميتافيزيقي بحيث يوجدان معًا بدون تناقض.
- أن نجعل من المنهج البيولوجي الميتافيزيقي منهجًا عاملاً شاملاً تخضع له جميع العقول والعلوم ونصرف النظر عما وصل إليه التفكير الوضعي من حقائق علمية.
- أن نعمم المنهج الوضعي فنجعل منه منهجًا كليًا عامًا يشمل جميع ظواهر الكون، وبذلك نحقق مبدأ" وحدة المعرفة الوضعية".

أما الوسيلة الأولى فلا يمكن تحقيقها عملياً لأن المنهجين متناقضان تمام التناقض وتقدم أحدهما يستلزم ضرورة هدم الآخر.

فهناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يقوم على الملاحظة وتقرير طبائع الأشياء كما هي كائنة ، وبين المنهج الميتافيزيقي الذى يقوم على التأمل النظري والبحث المطلق.

كذلك هناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يدرس الحقائق الجزئية وعناصر الظواهر محاولاً الوصول إلى أسبابها المباشرة وبين المنهج الميتافيزيقي الذى يدرس الحقائق الكلية ويبحث في العلل الأولى.

وهناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يقوم على الإيمان بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها وبين المذهب الميتافيزيقي الذى لا يؤمن بهذه الفكرة.

فالمنهج الأول نسبي والمنهج الثاني مطلق وغاية الأول كشف القوانين العلمية وغاية الثاني وضع

nadeel anafea

مبادئ فلسفية لا سبيل إلى تصورها وغني عن البيان أن منهجين هذا شأنهما لا نستطيع التوفيق بينهما، ولا يمكن اجتماعهما على صورة ما في أذهان الأفراد بدون إحداث اضطراب كبير في التفكير.

أما الوسيلة الثانية :وهى القضاء على الطريقة الوضعية وجعل الناس يفهمون الظواهر في ضوء الطريقة الدينية والميتافيزيقية .فهذا الحل قد يعيد إلينا الوحدة العقلية المنشودة.

ولكن هل يمكن تحقيقه عملياً؟

إن هذا الوضع الجديد يتطلب منا ضرورة القضاء على الحقائق الوضعية التي حصلنا عليها وأن نعود بالإنسانية حيث الدور الثيولوجي الميتافيزيقي.

ولكن كيف يمكننا أن ننكر على التاريخ تلك الانتصارات العلمية التي وصل إليها العقل الإنساني في المرحلة الوضعية؟

هل نستطيع أن ننكر اختراع الطباعة؟

وهل يمكننا أن ننكر أن كوبرنيك وجاليلو وديكارت وبيكون ونيوتن وغيرهم ممن اشتغلوا بالأبحاث الوضعية قد عاشوا ووصلوا إلى حقائق علمية وكان لهم تراث عقلي؟؟؟؟

<u>الاتجاه الثالث</u>

وهو أن نجعل التفكير الوضعي منهجاً كلياً عاماً ونقضى على ما بقي من مظاهر التفكير الميتافيزيقي

وهذا الاتجاه غير ممكن إلا إذا فهم الأفراد ظواهر الاجتماع على الطريقة العلمية ماعدا ظواهر المجتمع والإنسان ، ولا يمكن أن نجعل الناس يفهمون ظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي <u>إلا إذا توافر شرطان</u>:-

- الشرط الأول: أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين ولا تسير وفق الأهواء والمصادفات.
- الشرط الثاني: أن يستطيع الأفراد الوقوف على هذه القوانين لكي يفهموا الظواهر وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع.

بالنسبة للشرط الأول فيرى "كونت" أنه متوفر في الظواهر الاجتماعية لأن المجتمع جزء من الطبيعة الكلية، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة.

وبالنسبة للشرط الثاني وهو معرفة الناس لهذه القوانين فلا يمكن توفره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفة دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية وصفية تحليلية أي دراسة وضعية.

<u>باختصار</u>: ثلاثة حلول يناقشه كونت للتخلص من حالة الاضطراب العقلي الناجم عن أسلوب التفكير في المجتمع

1. التوفيق بين أسلوب كل من التفكير الوضعي والتفكير البيولوجي وبين الميتافيزيقي (وجد كونت أن هذا أمر متناقض أساساً)
2. تعميم استخدام المنهاج اللاهوتي الميتافيزيقي وإهمال ونبذ نتائج التفكير الوضعي (وقد رفضه كونت لأنه ينفي جميع الانتصارات العلمية على يد غاليلو ونيوتن)
3. تعميم التفكير بأسلوب المنهاج الوضعي في فهم جميع ظواهر الكون وتحقيق وحدة المعرفة الوضعية وهو الحل الأسمى برأيه لفهم ظواهر الاجتماع التي تخضع للقوانين

hadeel anafa

وقد سمي كونت علمه الجديد بعلم الطبيعة الاجتماعية ثم عاد فسماه علم الاجتماع، لأن علم الاجتماع في نظره يدرس كل الظواهر التي لم تدرسها العلوم الأخرى السابقة عليه .وقسم كونت موضوعات هذا العلم إلى شعبتين:-

- سمي الشعبة الأولى «الديناميك الاجتماعي» - وسمي الشعبة الثانية «الستاتيك الاجتماعي »

موضوع الشعبة الأولى دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذى تخطوه الإنسانية في تطورها، أي أنه يدرس الاجتماع الإنساني في عمومه وفى جملته من ناحية تطوره، وانتقاله في كليته من حال إلى حال.

موضوع الشعبة الثانية دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها، ويدرس كذلك الاجتماع الإنساني في تفاصيله وجزئياته لأن المجتمع يتمثل في عدة نظم وقواعد منها السياسي ومنها القضائي ومنها الاقتصادي ومنها الخلقي ومنها الديني.

شعبتا علم الاجتماع عند كونت هما:

- الاستاتيكا الاجتماعية دراسة المجتمعات الإنسانية وقواعد المجتمع وجميع النظم ووظيفتها بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن والترابط بين النظم الاجتماعية.
- الديناميكا الاجتماعية دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية، والكشف عن مدى التقدم الإنساني.

✓ الاستاتيكا الاجتماعية تقوم على أساس فكرة "التضامن الاجتماعي"
✓ الديناميكا الاجتماعية تقوم على أساس فكرة "التطور والتقدم"

من أهم مؤلفاته الذي مكث فيه ست سنوات (1854 – 1848) ويتكون من أربعة أجزاء ، تناول فيه موضوعات متنوعة **أهمها**:

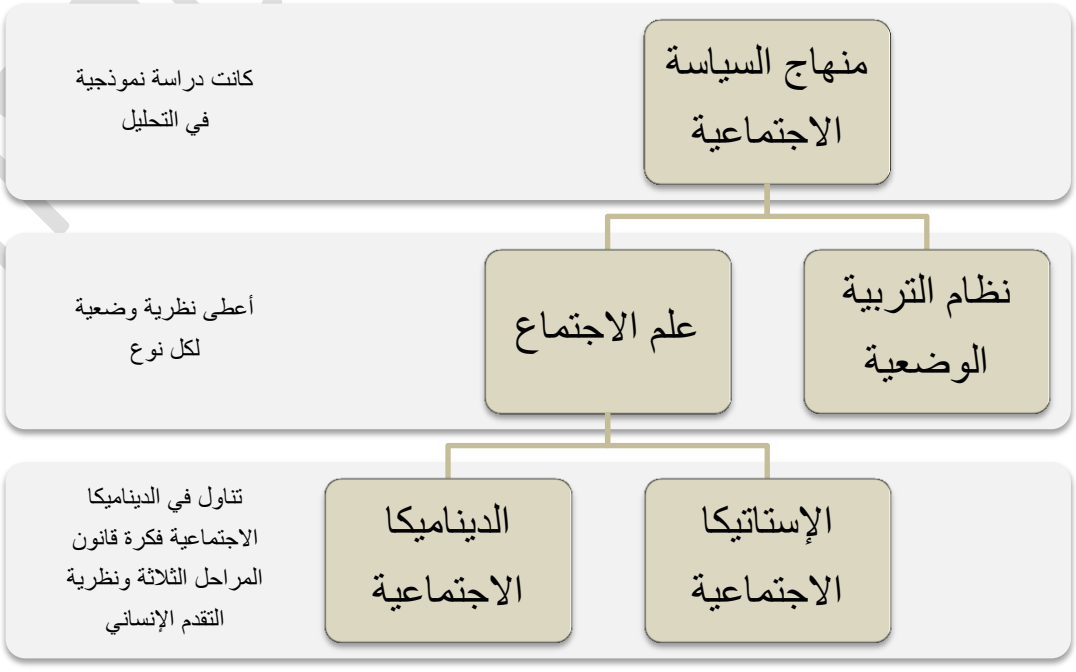

hodel anafea

أما في الاستاتيكا الاجتماعية أي علم الاجتماع في حالته الساكنة فقد تناول موضوعات متنوعة **أهمها**:

الاستاتيكا الاجتماعية (اللغة – الدين – الملكية – التنظيم – الطبقي – الأسرة)

ثانياً: أسس الدراسة ومنهج البحث

اتضح لنا أن كونت أنشأ علم الاجتماع لتحقيق عمومية التفكير الوضعي، والتفكير الوضعي ينطوي على تغيير شامل في أسس الدراسة التي تقوم عليها مناهج البحث في العلوم ويبدو هذا التغيير في النقط الآتية:-

1) أن ظواهر العلوم قبل أن تخضع للمنهج الوضعي كانت ترتبط بتدخل قوى خارقة للعادة ، أما فكرة القانون تحل محل هذه القوى التحكمية وأصبح الوصول إلى القانون العلمي هو المطلب الأول والمحور الأساسي الذى تدور عليه الدراسات والبحث.
2) كان التخيل أو التصوير الفلسفي هو العامل الأساسي الذى تقوم عليه المناهج القديمة ولكن الفلسفة الوضعية من مبادئها الجوهرية أن تخضع هذا التخيل للملاحظة.
3) لا تعطينا المناهج القديمة فكرة واضحة عن تحديد العلاقات بين مختلف الظواهر أما علم الاجتماع يهتم بدراسة العلاقات التي توجد بين مختلف الظواهر الاجتماعية.
4) تميل المناهج القديمة إلى المعاني المطلقة والمبادئ الكلية والعلل الأولى بينما الفلسفة الوضعية تهتم بتحديد معاني النسبية.

أسس الدراسة ومنهج البحث في هذا العلم

1. إخضاع الدراسة في هذه الظواهر للقانون الوضعي للوصول إلى القانون العلمي
2. إخضاع التخيل والتصور للملاحظة ونبذ التصورات الفلسفية للظواهر لكشف وسائل جديدة في البحث
3. تحديد العلاقات بين مختلف الظواهر الاجتماعية في ضوء المنهاج المجالي طبقا للقوانين العلمية
4. تضييق دائرة المعاني المطلقة والمبادئ الكلية لتحويلها إلى معان نسبية مفهومة بهذا اكتسبت العلوم والمناهج أدوات للبحث

أما فيما يتعلق بمنهج البحث في علم الاجتماع فيرى كونت أن هناك نوعين من البحوث التي تؤدى بنا إلى كشف الحقائق في ميدان الظواهر الاجتماعية أحدهما وسائل مباشرة والأخرى غير مباشرة.

أ) وسائل مباشرة : الخطوات المنهجية التي تشكل قواعد البحث العلمي، وهي الخطوات التي يستخدمها الباحث لكشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية في نشأتها وتطورها ووظائفها.
ب) أما الوسائل غير المباشرة وهى في نظره ليست أقل أهمية أو ضرورة من الوسائل الأولى فتنتج منها العلاقات الضرورية التي تربط علم الاجتماع بما عداه من العلوم الوضعية الأخرى، لأن هذه العلوم تمده بصفة دائمة بنتائج وحقائق وقضايا لها أهميتها في ميدان البحث الاجتماعي.

hadeel alnafea

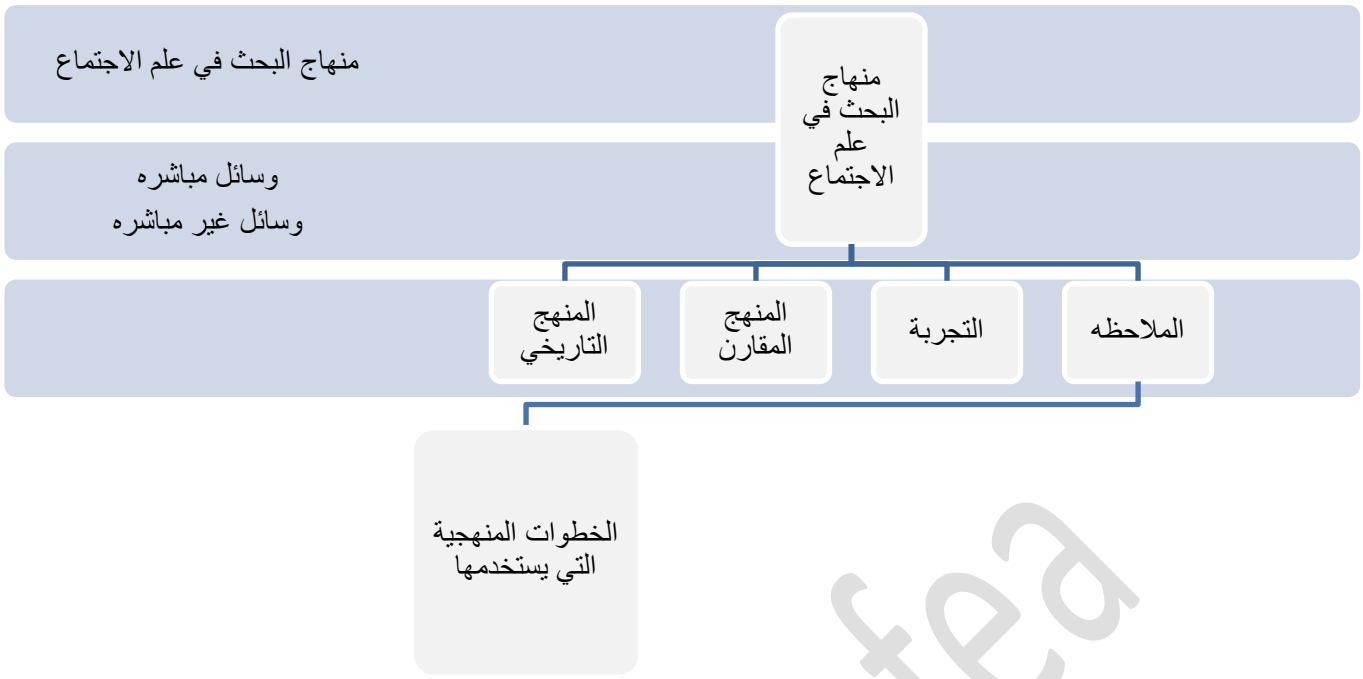

ما هي الوسائل إذن التي حددها أوجست كونت لتناول هذا المنهج؟ **إنها**:

- الملاحظة ، والتجربة ، والمنهج المقارن ، والمنهج التاريخي.

1) الملاحظة: هناك وسائل أخرى تساعدنا على الملاحظة الاجتماعية مثل دراسة العادات والتقاليد والآثار ومظاهر التراث الأخرى وتحليل ومقارنة اللغات والوقوف على الوثائق والسجلات التاريخية ودراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية وما إليها ، فلاشك أن هذه المصادر تقدم لعالم الاجتماع ونافعة ويقينية تساعد في الكشف العلمي.
ويرى كونت أنه من الإسراف البالغ الاعتماد على الملاحظة واتخاذها أسلوباً من أساليب الكشف العلمي بصدد قوانين الظواهر الاجتماعية ولا بأس من اعتبارها عاملاً مساعداً في سبيل هذا الكشف.

2) التجربة: يقصد كونت بالتجربة أي التجربة الاجتماعية وليست التجربة العلمية التي تلجأ إلى إجراءها بصدد ظواهر الطبيعة والكيمياء والبيولوجيا وذلك لأن مثل هذه التجارب الصناعية لا يمكن إجراؤها على ظواهر المجتمع.
والتجربة الاجتماعية الصحيحة في نظر كونت إنما تقوم على مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في حالة واحدة واختلافهما يرجع إلى هذه الحالة الواحدة، فوجود مثل هذه الحالة الطبيعية إنما هو بمثابة تجربة مباشرة أننا نستطيع أن نستنتج بسهولة أثر هذا العامل الذى كان سببا في اختلاف الظاهرتين ومدى تأثيره في غيرهما من الظواهر الأخرى.
أما التجارب غير المباشرة وهى التي توجد في الحالات "الباثولوجي" أي الحالات المرضية التي تصيب جسم المجتمع لأن المجتمع شأنه في ذلك شأن جسم الإنسان عرضة للأمراض التي تنتابه من حين لأخر، هذه الأمراض تتمثل في الفتن والثورات والانقلابات، هذا إلى أن هذه الوسيلة غير مجدية وليست مواتيه في كل الظروف والمناسبات فليس على الباحثين من سبيل لكي ينتظروا وقوع حالات مرضية في المجتمع حتى يستطيعوا في ضوء بحثها الوصول إلى نتائج وتجارب في ميدان الكشف الاجتماعي.

3) المنهج المقارن: المقارنة الاجتماعية بالمعنى الصحيح تقوم في مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على أوجه الشبه وأوجه التباين بينهما ، وقد تتخذ المقارنة صورة أضيق من ذلك نطاقاً بمعني أنها تتناول مقارنة الطبقات أو الهيئات في نطاق شعب واحد أو مجتمع محدود.

hadeelalnafea

وقد تتخذ المقارنة صورة ثالثة أعم وأشمل من الصورتين السابقتين وهي مقارنة جميع المجتمعات إلى الإنسانية في عصر ما بالمجتمعات الإنسانية نفسها في عصر آخر، أي مقارنة الإنسانية ككل بالإنسانية ذاتها في مرحلة أخرى وذلك للوقوف على مبلغ التقدم الذى تخطوه الإنسانية في كل طور من أطوار تقدمها وارتقائها.
والمقارنة في مثل هذه الحالة تفقد موضوعتيها وتصبح قائمة على فكرة فلسفية مجردة تقترب إلى حد كبير من نظريات فلسفة التاريخ.

4) المنهج التاريخي: يعتبره كونت آخر حجر في بناء المنهج الوضعي ويسميه "بالمنهج السامي" ويقصد نه المنهج الذى يكتشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشرى باعتبار أن هذا الجنس وحدة واحدة تنتقل من مرحلة إلى أخرى أرقى منها ، وأقام كونت منهجه التاريخي على أساس قانونه الشهير "قانون الأدوار الثلاثة" وهو قانون يدعى أنه استخلصه من دراسة تاريخ الإنسانية دراسة علمية تحليلية ، والواقع أنه يعبر عن آراء فلسفية شخصية يؤمن بها كونت وحده ولا يعبر عن حقائق التاريخ ولا يصور مبلغ التطور الذى قطعته المجتمعات الإنسانية في تقدمها.
فكأن كونت لم يفهم من المنهج التاريخي ذلك المعني الذى نفهمه الآن من أن هذا المنهج يتطلب أن يقف الباحث على طبيعة الظاهرة وعناصرها وتطورها واختلاف أشكالها باختلاف الشعوب وباختلاف مراحل التطور وعلاقتها بما عداها من الظواهر الاجتماعية ، ولكنه فهم منه معني فلسفياً بعيداً عن طبائع الأمور ولا يمكن أن يؤدى به الكشف علمي محقق، ولاشك أن كونت قد أساء إلى منهجه بهذا الفهم الخاطئ وانحرف انحرافاً ظاهراً عن الخطة العلمية التي أراد أن يرسمها لدراسة ظواهر العمران دراسة وضعية.

<u>قواعد منهج البحث العلمي في علم الاجتماع</u>

- وسيلة الملاحظة: هي عنصر مساعد من عناصر البحث الاجتماعي تسهم في معاينة الوقائع وإدراك الخصائص ووضع الفروض العلمية وجمع المعلومات
- وسيلة المنهج المقارن: تقوم على مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على درجة تقدمها أو تخلفها
- وسيلة التجربة: ويقصد التجربة الاجتماعية حين يتم مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل المتغيرات ومختلفتين في متغير واحد، ويسميها كونت بالتجربة المباشرة
- وسيلة المنهج التاريخي: ويعتبرها كونت المنهاج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري بمختلف المراحل، وربط وظيفة هذا المنهاج بقانونه

hadeel alhafed

المحاضرة العاشرة بعنوان

الدراسات الاجتماعية عند أجست كونت

الجزء (2) تتمة الفصل التاسع

عناصر المحاضرة

ثالثاً: بحوثه في الديناميك سوسيال.

رابعاً: بحوثه في الستاتيك سوسيال.

خامساً: فضل كونت على الفلسفة والدراسات الاجتماعية.

سادساً: نقد آرائه بصفة عامة.

ثالثاً: بحوثه في الديناميك سوسيال(الاجتماعي).

إن موضوع الديناميك هو دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذى تخطوه الإنسانية في تطورها، وتدور بحوثه الديناميكية حول نظريتين أساسيتين فهناك نظريته في قانون الأدوار الثلاثة ونظريته في تقدم الإنسانية.

نظرية قانون الأدوار (الحالات) الثلاثة

- وخلاصته:

أن العقل الإنساني أو التفكير الإنساني قد انتقل في إدراكه لكل فرع من فروع المعرفة من الدور الثيولوجي (الديني اللاهوتي) إلى الدور الميتافيزيقي وأخيراً للدور الوضعي أو العلمي.

ويقصد كونت بالدور الثيولوجي (الديني) أن العقل كان يسير على أسلوب الفهم الديني وأنه كان يفسر الظواهر بنسبتها إلى قوى مشخصة مريدة خارجة عن الظاهرة نفسها كالآلهة والأرواح والشياطين وما إليها.

ويقصد بأسلوب الفهم الميتافيزيقي(التجريدي)أن العقل كان يفسر الظواهر بنسبتها إلى معان مجردة أو قوى ميتافيزيقية وعلل أولي لا يقوى على إثباتها ، ويقصد بأسلوب الفهم العلمي أن العقل يذهب في تفسيره للظواهر بنسبتها إلى القوانين التي تحكمها والأسباب المباشرة التي تؤثر فيها.

نظرية التقدم الإنساني (الاجتماعي)

سيراً اجتماعياً نحو « تقدم » يفهم كونت من معنى كلمة هدف معين لا يمكن الحصول اليه بعد المرور بأدوار ضرورية محددة، أي أن السير الاجتماعي لا بد أن يكون خاضعاً لقوانين.

يرى كونت أن انتقال الإنسانية من مرحلة إلى أخرى يكون مصحوباً عادة بتقدم أو تحسين يبدو في مظهرين: تقدم حالتنا الاجتماعية ، وتقدم في طبيعتنا الإنسانية ، ويسمى المظهر الأول بالتقدم المادي.

hadeel alnafea

وهو في نظره أوضح ظهوراً وأسرع حركة وأسهل حدوثاً وأقرب تحقيقاً .ويتوقف هذا التقدم على مقدار معرفتنا بقوانين الظواهر الاجتماعية والتدخل بفضلها لكي تحقق الإصلاح والتقدم المنشود ، وفيما يتعلق بالتقدم طبيعياً فإنه يبدو واضحا في الناحيتين الثيولوجية والعقلية.

فقد أدى التقدم الثيولوجي إلى زيادة عمر الإنسان أو تقدم القواعد الصحية وفن الطب ، وأدى التقدم العقلي إلى كشف وسائل جديدة للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمات الإنسان، لأن العقل أو الذكاء عبارة عن آلة عامة يمكن استخدامها بصفة مطلقة في توسيع نطاق تدخل الإنسان وإشرافه على الكون ومظاهره.

ويقول كونت :أن المظهرين المشار إليهما لابد أن يسيرا جنباً إلى جنب لأن السعادة الإنسانية لا تعتمد فقط على تحقيق قدر من المنافع المادية المتعلقة بالوضع الاجتماعي للأفراد ولكنها تتطلب فوق ذلك ارتقاء واسع النطاق في المعايير العقلية والأخلاقية والجمالية، وما يتعلق بالحياة الاجتماعية.

رابعاً: الستاتيك سوسيال.

يقصد كونت بالستاتيك سوسيال دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها ويدرس كذلك هذه المجتمعات في تفاصيلها وفي جزئياتها من حيث العناصر والنظم الاجتماعية ويرمي من وراء هذه الدراسة إلى الوقوف على القوانين التي تحكم تماسكها وتعمل على تضامنها.

ويبدأ كونت بحوثه بتحليل الضرورة الاجتماعية .حيث يعتبر حالة الاجتماع هي الحالة الطبيعية للإنسان .فالأفراد يولدون ومعهم غريزة ونيل فطري للعمل والتعاون مع الجماعة.

لذلك انتقد أوغست كونت نظريات التعاقد الاجتماعي.

لأنها تلبي الاحتياجات الإنسانية.

توصل كونت في تحليله الى أن المجتمع يتكون من ثلاثة عناصر: الفرد والدولة والعائلة

فالأسرة هي أول خلية في جسم التركيب الجمعي وهي ثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية، وقرر كونت مبدأ خضوع المرأة للرجل مع الاعتراف بسموها من الناحية العاطفية والوجدانية الضرورية للاستقرار في حياة الأسرة.

وتكلم عن الزواج واعتبره الأساس الأول لكل مجتمع، ولا يقبل فكرة الطلاق ويعتبرها من عوامل الإخلال بنظام الحياة الأسرية بصفة خاصة وحياة المجتمع بالإجماع ، ويعرف الأسرة بأنها اتحاد له طبيعة أخلاقية ، وأن الميل المتبادل بين الزوجين والعطف المتبادل بين الزوجين من جهة والأبناء من جهة أخرى.

والمشاركات الوجدانية الموجودة بين أفراد هذا المجتمع الصغير ، ثم تربية الأطفال والنزعة الدينية التي يغرسها الأبوان في أولادهم وللحقوق والواجبات المترتبة لكل عضو في الأسرة قبل العضو الأخر، كل هذه الأمور ترجع في طبيعتها إلى وظيفة الأسرة الأخلاقية.

وتطرق كونت إلى دراسة المجتمع فهو وحدة حية ومركب معقد أهم مظاهره التعاون والتضامن ، ويرى كونت أن مبدأ التعاون والتضامن هو الذى يسيطر على المجتمع ويحكمه ويسمى هذا المبدأ لدى المفكرين والمحدثين بمبدأ" تقسيم العمل وتوزيع الوظائف الاجتماعية."

ويرى كونت أن التضامن الاجتماعي لا يمكن أن يتحقق بصورة كاملة إلا إذا وجه المسئولون عنايتهم إلى إصلاح ثلاثة نظم اجتماعية أساسية وهى : نظام التربية والتعليم ، ونظام الأسرة ، والنظام السياسي في الدولة.

وبصدد إصلاح نظام التربية والتعليم يرى كونت أن المجتمع يحتاج إلى نظام من التربية الوضعية يحل محل دراسة الآداب والنظريات المجردة، ولقد قسم مراحل التعليم إلى ثلاثة وهى: مرحلة ابتدائية ومرحلة ثانوية ومرحلة عالية وظيفتها إعداد الشباب لمواجهة حياتهم العملية وتوجيههم إلى حل المشاكل الاجتماعية ، ونصح بضرورة فصل السياسة عن العلم بمعنى أن يكون الطلاب بعيدين عن الأحزاب السياسية.

وبصدد إصلاح النظام الأسري ، فالأسرة الصالحة هي التي تشبع أفرادها عواطف حب الغير والتراحم والتضامن الاجتماعي، واعتبر الأم هي المسئولة عن إعداد الأطفال في المرحلة الأولى ، ويأمل كونت أن الأمهات اللاتي تلقين تربية وضعية صحيحة يتمكن من تعليم أولادهن والإشراف على تربيتهم في المرحلة الإعدادية الأولى بدلاً من ذهابهم إلى المدارس.

وبصدد إصلاح النظام السياسي تعرض كونت لوظيفة الحكومة وحللها وقرر أن هذه الوظيفة ليست سهلة الأداء ومقصورة على تنظيم البوليس أو ضمان سلامة الشعب ونشر الأمن .والحكومة هي أول الوظائف الاجتماعية وأهمها، وهي دليل على مبلغ تقدم المجتمع وهذا التقدم مرهون بنظام الهيمنة.

ووظيفة الحكومة في نظره تقوم على تحقيق مبدأ التضامن في المجتمع والحرص على وحدته ، ومعنى ذلك أن وظيفتها لا تقتصر على المصالح المادية فحسب بل تشمل كذلك الناحية الروحية ، فكما تعمل على تحقيق التضامن المادي فكذلك التضامن الروحي عن طريق حفظ الدين ورعايته وغرسه في قلوب الأفراد وأخذهم في هذا الصدد بما يحفظ للمجتمع دوامه واستقراره.

ودرس كونت الناحية الاقتصادية في المجتمع فقد لاحظ أن السير الصناعي كان في اطراد دائم وزيادة مستمرة، وكان هذا النشاط سبباً في متاعب ، فدرس كونت صنوف الشقاق بين رؤوس الأموال والأيدي العاملة.

وعرض كونت للنظريات الاقتصادية السائدة ونقدها جميعاً ونادى بضرورة التدخل من جانب الحكومة لكي تقيم توازناً معقولاً بين الأهداف الفردية وبين ما ينبغي أن تكون عليه المعاملات الاجتماعية.

ودرس كونت الناحية الأخلاقية في المجتمع ورأى وجوب قيام علم وضعي هو" علم الأخلاق "، ويرى كونت أن علم الأخلاق الوضعي سواء من ناحيته النظرية أو العلمية لا يمكن أن يقوم إلا إذا تأسيس علم الاجتماع أولاً ، لأن هذا الأخير يغذي بمبادئه العامة ومادة بحثه ومنهجه والموضوعات الأساسية التي يعالجها.

أما الناحية الدينية في المجتمع فقد وضع لنا كونت بجانب النظم السابقة نظاما دينيا جديدا وهو الدين الوضعي ويدور هذا الدين حول عبارة الإنسانية كفكرة، أي أن فكرة الإنسانية تحل في نظره محل فكرة" الله "في الديانات الرواقية الرومانية المعروفة.

ورسم كونت لهذه الديانة طقوسا ونظما تناسبها ,ودعا جميع أفراد الجنس الإنساني أن يتجهوا إليها بالعبادة والتقديس.

ووظيفة هذه الديانة كما يراها كونت تحقيق وحدة دينية في العالم بأسره.

لأن جميع الأفراد سيتجهون بقلوبهم وعقولهم نحو فكرة واحدة ومركز واحد فيبطل الشرور والآثام وتنتقي المنازعات والحروب وتعيش الأجناس البشرية الثلاث: الجنس الأبيض والأصفر والأسود التي تمثل في الإنسانية الذكاء والعمل والعاطفة في عصر ديني ذهبي.

خامساً: فضل كونت على الفلسفة والدراسات الاجتماعية

سوف يتضح لنا ما يستحقه كونت من التقدير والاهتمام بمجرد عرض مبسط للنتائج الفلسفية والاجتماعية العامة التي انتهى إليها من دراساته الطويلة وبحوثه المفضلة.

وقد لخص كونت نفسه هذه النتائج في كتابه: "دروس في الفلسفة الوضعية "، أن أول نقطة جديرة بالتقدير في فلسفة كونت هي تطبيق منهج البحث الوضعي على الظواهر الاجتماعية.

والواقع أننا إذا كانت إلى الغاية التي قصد كونت الوصول إليها، فإنه من الصواب أن نقرر أن هذه الغاية هي «السياسة»

ولا أدل على ذلك من كتابه الثاني المعروف: «بالسياسة الوضعية»

ولكن إذا نظرنا إلى هذه الغاية في ذاتها من حيث هي وجدناها بالضرورة عبارة عن مجهود نظري فلسفي لأن خلق علم الاجتماع الوضعي كما شرحه كونت حقق الفكرة التي يسميها" كانت" (كلية التجربة)

وبدون الدخول في تفاصيل البحث فالمعروف أن محاولات كثيرة قد بذلت في سبيل تحقيق هذه الفكرة قبل كونت ولكن أصحاب هذه المحاولات كانوا يعتقدون أن هناك تمييزا جوهريا بين الفلسفة من ناحية وبين المعرفة العلمية من ناحية أخرى ولذلك باءت محاولتهم بالفشل.

ويرى كونت أن القوانين العقلية مثل غيرها من القوانين لا يمكن كشفها إلا عن طريق ملاحظة الظواهر والمنهج الوحيد الذى يليق بملاحظة الظواهر العقلية هو المنهج الاجتماعي بجميع أركانه لأن هذه الظواهر العقلية من طبيعة لا يمكن الوقوف عليها ولاسيما من الناحية الديناميكية إلا في تطور الإنسانية واستعراض هذا التطور ودراسته.

إن موقف كونت في تاريخ الفلسفة موقف جدير بكل تقدير وإعجاب لأنه لما رأى الفلسفة كما تصورها أصحابها حتى القرن التاسع عشر لا تستطيع أن تتكيف وتأخذ خواص العلم ، وانه حاول كثيرا كما تدل تعبيراته الخاصة أن يحول العلم إلى فلسفة .ولكن كيف يتم هذا التحول مع محافظة العلم على خواصه النوعية؟

إن هذا التحول إنما يقوم بكل بساطة في إعطاء العلم الخاصية الفلسفية الوحيدة التي لم تكن له من قبل وهي خاصية الكلية، فإن العلم باكتسابه خاصة جوهرية جديدة لا تجعله يفقد أية خاصة جوهرية من خواصه السابقة التي هي عبارة عن جوهرة وأساسه

ولكن يبدو للباحث المتعمق أن الذى يتحول ليس هو العلم ، لأن العلم يبقى كما هو كذلك بذاته مع إضافة خاصة العمومية والكلية إليه، فيصبح عاما بعد أن كان خاصا ولكن الفلسفة هي التي تفقد مركزها الممتاز لأن العلم سوف يشاركها في عموميتها وكليتها.

ويقصد كونت من ذلك أن منهجه وفلسفته سوف تغنى عن هذه النظريات في المستقبل وسوف تؤدى الوظائف العقلية التي كانت تؤديها النظريات الفلسفية الميتافيزيقية.

إن كونت اكتشف علم الاجتماع لأن هذا العلم عمم المنهج الوضعي الذى أصبح ممتداً إلى آخر مظهر من مظاهر الظواهر الكونية ، ومتى تم تكوين هذا العلم فإنه يكتسب صفة العلم الكلي ومن ثم صفة الفلسفة

فمن ناحية ترتيب العلوم نجد أن علم الاجتماع هو سادس علم وآخر العلوم الأساسية ، ومن جهة أخرى فهو العلم الوحيد من حيث أن العلوم الأخرى يمكن اعتبارها ظواهر اجتماعية كبري ، فهو يتضمن حقائق العلوم السابقة عليه لأن هذه العلوم تمهد له وتؤدي إليه.

على هذا النحو يمكن تحويل العلم إلى فلسفة ، ويمكننا الآن أن نبحث علاقة فلسفة كونت الوضعية بما عداها من الفلسفات التي سبقتها أو المعاصرة لها ، وموقفها إزاء هذه الفلسفات.

أن كل نظرية فلسفية جديدة لابد لها أن تحقق هدفين أساسيين:-

1. أن تضع أصولها ومبادئها الأساسية.

2. أن تبحث وتناقش النظريات السابقة والمعاصرة لها.

ولهذا السبب فإن الفلسفة الوضعية هي الفلسفة الوحيدة التي كانت عادلة جداً في نقد النظريات المعارضة لها سواء كانت سابقة عليها أو معاصرة لها.

أن هذه الفلسفة لم تنتقد الماضي كله والحاضر ولم تعلن الحرب على النظريات السابقة عليها بل بالعكس ، لقد وضعت كل النظريات في مكانها في التاريخ العام لتطور التفكير الإنساني ، وقد وضعت نفسها في مكانها في هذا التاريخ غير أن الفلسفة الوضعية تعتبر نفسها وريثة جميع الفلسفات وعلى الأخص الفلسفات التي تتعارض معها في المبدأ.

ولقد كان لحلول الفلسفة الوضعية محل الفلسفة الميتافيزيقية اثر واضح في تكييف النظريات الفلسفية ، فإنها تغيرت من وجهة النظر الميتافيزيقية إلى وجهة النظر الوضعية ، وكان لهذا الإحلال أيضا أثره في المعاني والمصطلحات الفلسفية التي تغيرت مضامينها من الأسلوب الميتافيزيقي المطلق إلى الأسلوب الوضعي النسبي.

فمثلا إذا كانت الفلسفة الميتافيزيقية تميز بين فكرتي القوة والفعل، فإن الفلسفة الوضعية أصبحت تميز بين وجهتي النظر الاستاتيكية والديناميكية ، وإذا كانت الفلسفة الميتافيزيقية تفترض مبدأ الغائبة أو القضاء والقدر فإن الفلسفة الوضعية أصبحت تفترض فكرة جديدة عبرت عنها بمبدأ شروط الوجود.

وإذا كانت الفلسفة الميتافيزيقية تخضع العالم لقوى خارقة مطلقة فإن الفلسفة الوضعية تخضع الإنسانية في تطورها لقانون عام.

<u>سادساً: نقد كونت</u>

هناك الكثير من المآخذ والانتقادات التي سجلت على فلسفة كونت الاجتماعية ويمكن أن نجملها في النقط الآتية:-

1. يبدو أن الأسباب التي دعته إلى إنشاء علم الاجتماع أسباب خيالية من وحى تفكيره الخاص ولا تمت بصلة إلى حقائق الأمور، فليس بصحيح كما يزعم أن جميع الناس في عهده كانوا يفهمون ظواهر الطبيعية فهماً علمياً وضعياً لأن هذا الأسلوب من الفهم كان ولا يزال مقصوراً على المستنيرين من الناس الذين أتيح لهم أن يسيغوا مسائل العلوم وليس بصحيح كما يزعم أن جميع الناس في عهده كانوا يفهمون ظواهر الاجتماع فهماً غير وضعي ، فكثير من هذه الظواهر كان موضوعاً للدراسة العلمية وتوصل الباحثون بصدد هذه الظواهر إلى كشف القوانين العلمية.
2. نبه كونت إلى قواعد منهجية لها قيمتها العلمية غير أنه لم يلتزم بهذه القواعد في دراسة موضوعات العلم ، فانحرفت انحرافا ظاهرا ولذلك وصل إلى قوانين فلسفية شخصية بدلا من أن يصل إلى قوانين مستخلصة من طبائع الأشياء.
3. فيما يتعلق <u>بقانون الأدوار الثلاثة</u> نجد أن كونت درس الإنسانية بوصفها كلاً لا يتجزأ مع أن الشيء الملاحظ هو وجود مجتمعات جزئية مختلفة فليست هناك إنسانية ولكن هناك مجتمعات إنسانية ، وليس كما يزعم في قانونه : أن الإنسانية تسير كلها على وتيرة واحدة في فهم الأشياء، وليس بصحيح كما يزعم أيضا أن العقل الإنساني قد سلك في فهمه للظواهر الطرق الثلاث مرتبة على الصورة التي ذكرها

فقد فهم الأقدمون كثيرا من الحقائق الرياضية والفلكية فهما وضعيا قبل ظواهر العلوم الأخرى ، ولا تزال بعض المجتمعات تفسر الحقائق العلمية في نظرنا تفسيراً دينياً وبعضها يفسرها تفسيرا ميتافيزيقيا مع أن هذه وتلك في مرحلة تاريخية واحدة.

4. يرجع كونت تطور الظواهر الاجتماعية إلى تطور التفكير مع أن تطور شئون المجتمع ينجم عن عوامل كثيرة تتفاعل آثارها وتتحدد نتائجها ، وتطور التفكير ذاته ليس إلا مظهرا من مظاهر تطور المجتمع ولا يعتبر هو نفسه سببا لهذا التطور.
5. انتهى كونت من دراسة" الستاتيك سوسيال "إلى قانون التضامن وملخص هذا القانون أن مظاهر الحياة الاجتماعية يتضامن بعضها مع بعض ، كذلك نظم المجتمع وعناصره تعمل متضامنة لتحقيق استقرار الحياة الاجتماعية ودوام بقائها.

على انه لم يدرس الفكرة موضوعيا ولم يرجع بصددها إلى التاريخ أو إلى التحليل المادي.

لم يجعل كونت لها سندا من التاريخ أي انه لم يدرسها دراسة علمية ولم يحللها تحليلا ماديا هذا إلى أنها بالصورة التي عرضها تتناقض مع بعض أجزاء فلسفته.

6. وضع كونت دينا جديدا هو الدين الوضعي أو عبادة الإنسانية .والدين شأنه كشأن أي نظام اجتماعي لا يوضع وضعا ولا يتفق علية الأفراد إداريا ولكنه ينشأ تلقائيا من طبيعة الحياة الاجتماعية ووفقا لرغبات العقل الجمعي.

والعجيب أن كونت ينتهي من تحليل فكرة الإنسانية وتحديدها إلى القول بأن الإنسانية الحق إنما تتمثل في مجموعة من الأبطال والعظماء والعقلاء الذين برزوا في تاريخ الإنسانية ويستحقون التكريم بفضل ما أدوه من أعمال التقدير والإعجاب.

أي أن الدين الوضعي ينتهي في أخر تحليله إلى: "إحياء ذكرى الرجال العظماء والفلاسفة الذين أدوا أعمالا جليلة وخدمات لا تقدر للجنس الإنساني".

وغنى عن البيان أن الاتجاه بالعبادة والتقديس إلى طائفة من بنى الإنسان فكرة غريبة في حد ذاتها ولا يجد كونت مؤيدين له في قبولها والإيمان بها، والواقع أن كونت كان بعيداً عن الاجتماع الديني في تقرير ذلك .فقد أغرق في تصورات الدينية وملأ صدره بآمال صوفية لا سبيل الى تحقيقها .ولم يستطيع أن يقيم الوحدة الدينية التي كان ينشدها من وراء دينه الوضعي، فلم تتجه الأجناس الثلاثة (الأبيض والأصفر والأسود التي تمثل الذكاء والعمل والعاطفة) بالعبادة والتقديس إلى محراب واحد ، ولم تقصد إلى كعبة واحدة وندين بدين مشترك.

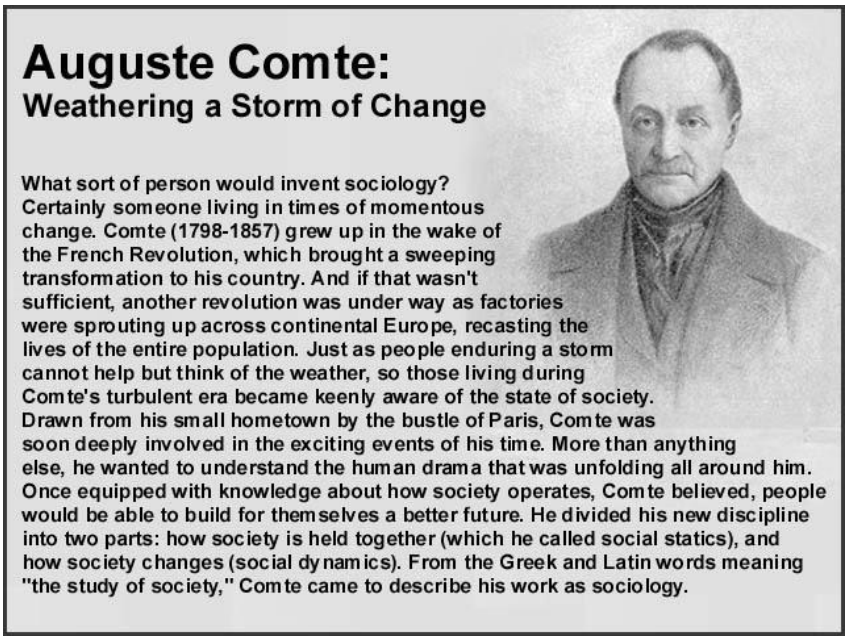

hadeel amara

المحاضرة الحادية عشر بعنوان

الفلسفة الاجتماعية عند أميل دوركايم

عناصر المحاضرة

أولاً:

- أهمية ومكانة ايميل دوركايم
- مؤلفات دوركايم
- الظاهرة الاجتماعية
- صفات الظاهرة الاجتماعية

ثانياً: تبويب الدراسات الاجتماعية وتحديد فروعها

أهمية ومكانة ايميل دوركايم

دوركايم (1858 – 1917)

زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع ومنشئ علم الاجتماع الحديث وأحد دعائم الحركة العلمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

سيرته الأكاديمية

- اهتم بالدراسات الاجتماعية، ولا سيما بعد بعثته إلى ألمانيا.
- وقد تتلمذ على أقطاب مفكريها أمثال: " فاجنر، شولر، وفونت"؛ فدرس الاقتصاد والفلكلور والأنثروبولوجيا الثقافية وبعض الموضوعات الاجتماعية.
- وأدت كتاباته في الفلسفة الاجتماعية إلى ذيوع شهرته.
- وعليه فقد كلف بتدريس علمي الاجتماع والتربية بجامعة بوردو.
- يعود إليه الفضل في إنشاء كرسي علم الاجتماع بجامعة بوردو
- حيث شغل منصب أستاذ علم الاجتماع بجدارة في جامعة بوردو.
- كما شغل نفس الكرسي في جامعة السوربون منذ سنة 1906 إلى وقت وفاته سنة 1917 .

سمات تفكيره

•كان دوركهايم يكره التأملات الفلسفية العقيمة ، وكان يهتم بالعلم لأجل العلم فقط ولذلك ابتغى أن يجعل من علم الاجتماع علمًا يسلّط الضوء على آفات المجتمع ويستعان به لحلّ بعض مشكلاته عن طريق تحسين العلاقات بين الفرد المجتمع .فلذلك أولى عناية كبرى للمشاكل التربوية.

•برأي دوركايم :أن التربية تلعب دورًا أساسياً في اندماج الفرد في المجتمع.

hadeel alnafea

•قد تفسر لنا هذه التصورات اهتمام دوركايم بمشاكل زمنه إذ أن اثنين من أهم كتبه تتناول الاضطرابات الاجتماعية المتولدة عن التصنيع المفاجئ والكثيف الذي انتاب مجتمعات عصره .وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا.

•حين عُيّن دوركايم أستاذا بجامعة بوردو عام 1887 م قام بإلقاء محاضرات قيمة في التربية الأخلاقية، فظهر في ذلك الوقت اهتمامه بدراسة المجتمع، حيث قدم فصلا دراسيا في علم الاجتماع يعتبر الأول من نوعه في فرنسا، فاثأر جدلا كبير بين العلماء المهتمين بدراسة المجتمع .ووضح في دراسته تأثره بآراء أوجست كونت، وتطويره للمذهب الوضعي والنظرة العضوية إلى المجتمع التي ابتدأها أوجست كونت.

مؤلفات دوركايم

•ترك دوركهايم مؤلفات وبحوث كثيرة نشر بعضها في حياته ونشر أتباعه البعض الآخر بعد وفاته.

ما هي أبرز وأهم مؤلفات دوركهايم؟

•المؤلفات التي نشرها في حياته يمكن ترتيب ظهورها كما يلي:

أهم أعمال دوركايم

- تقسيم العمل الاجتماعي (1893م)
- قواعد المنهج الاجتماعي (1895م)
- الانتحار دراسة اجتماعية (1896م)
- الأشكال الأولى للحياة الدينية (1912م)

أصدر سنة 1896 مجلته الاجتماعية المعروفة باسم السنة الاجتماعية أو التقويم الاجتماعي؛ كانت مصدراً للفكر السوسيولوجي لسنوات عديدة في فرنسا واستمر يصدرها حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة (1914م). حيث استأنف أتباعه نشرها منذ عام 1925 م.

نشر دوركايم في هذه المجلة بحوثا اجتماعية عديدة تناولت موضوعات مهمة أبرزها (طبقات المحارم في الزواج - الظواهر الدينية – التوعية – التصنيف - نظم الزواج في مجتمعات أسترالية – الطوطمية)

مؤلفات نشرت بعد وفاة دوركايم

أما مؤلفاته التي نشرها أتباعه فهي:

- التربية وعلم الاجتماع (1922م)
- علم الاجتماع والفلسفة (1923م)
- التربية الأخلاقية (1925م)
- كتاب الاشتراكية (1928م)

<u>الظاهرة الاجتماعية</u>

يبدأ " إميل دور كايم " بضرب أمثلة لهذه الظواهر فيقول: نجد في كل مجتمع إنساني مهما كانت درجة رقيه أن الأفراد يسيرون في مختلف شئون حياتهم وفى مختلف فروعها على أساليب خاصة وقواعد وأوضاع لا يحيدون عنها.

ففي حياتهم الدينية نجدهم يتفقون على أمور عامة فيما يتعلق بطقوسهم وشعائرهم المقدسة وواجباتهم تجاه هذه العبادات.

hadeel alnafea

وفى حياتهم الأسرية نجدهم يسيرون فيما يتعلق بنظم الزواج والطلاق والقرابة والمصاهرة والعلاقات الجنسية وتقرير الحقوق والواجبات لكل فرد، نجدهم يسيرون على أساليب وقوالب لا يحيدون عنها ومن يخرج عما نرسمه من حدود يقابل في هذا الصدد بقوة وعنف.

وفيما يتعلق بشئونهم الاقتصادية نجدهم يسيرون على وتيرة واحدة فيما يتعلق بطرق التبادل والإنتاج وتقدير قيم الأشياء، وفي صياغة العقود والوفاء بما تنطوي عليه من التزامات.

نجدهم في هذه الأمور وما إليها مقيدين بأوضاع معينة ولا يخرجون عن حدودها.

وفيما يتعلق بحياتهم السياسية نراهم يخضعون لنظم مستقرة وقواعد مقننة تتعلق بقيام الحكومات وتعاقبها وتقسيم مظاهر السلطة وعلاقة الفرد بالحكومة.

وعلى هذا النحو فيما يتعلق بحياتهم الخلقية والقضائية واللغوية والتربوية والفنية ، كل هذه الأساليب والقواعد والأوضاع والتي يسير عليها الأفراد في مختلف شئونهم تسمى بالظواهر الاجتماعية.

وبعيداً عن هذه النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأسرية والدينية والأخلاقية بوصفها نظماً تامة التكوين، نلاحظ وجود بعض التيارات والاتجاهات التي تنشأ في جو المجتمع والتي تعتبر أيضاً اجتماعية ، ولا يستطيع الأفراد الخروج عما تفرضه عليهم من حدود والتزامات.

هذه الاتجاهات تنشأ عادة من احتكاك أفكار الأفراد في المجتمع ومن اتصال وجدانهم وتفاعل مشاعرهم واتحاد رغباتهم وميولهم ، وما يحيط بهم من ظروف طبيعية واجتماعية.

وينطبق هذا الوصف على الظواهر المادية في المجتمع المتعلقة بالتركيب المورفولوجي.

وهذه الأمور تتناول قيام المدن ونشأتها واختيار مواقعه وتخطيط القرى وتوزيع أفرادها على المساحة ، والتخلخل والكثافة السكانية وانتقال بعض عناصر المجتمع من مكان إلى آخر كالهجرة من القرى إلى المدن وبالعكس.

فالملاحظ أن كل هذه الظواهر المورفولوجية تجري وفقاً لقوانين وأساليب خاصة وهذه الأساليب والأوضاع تسمى كذلك بالظواهر والأوضاع الاجتماعية المورفولوجية.

بمعنى أن كل مجتمع من المجتمعات مهما كانت درجة تحضره، يسير وفقاً لأساليب خاصة وأوضاع معينة، مثل اختيار مواقع المدن وتخطيطها ونشأتها واتساعها وتطورها، وتوزيع أفرادها على أحيائها السكنية والتخلخل والكثافة السكانية، وكذلك نشأة القرى والهجرة منها إلى المدن وبالعكس...

وهذه الأمور هي ظواهر اجتماعية، تخضع لقوانين معينة.

ما هي إذن الصفات الذاتية التي تميز هذه الظواهر الاجتماعية عن ظواهر العلوم الأخرى، حتى نستطيع أن نميز موضوع علم الاجتماع من غيره من الموضوعات؟

<u>صفات الظاهرة الاجتماعية</u>

لقد خصص دوركايم جانباً كبيراً من كتابه: "قواعد المنهج في علم الاجتماع" لتحديد ماهية الظاهرة الاجتماعية.

وعمل على تفنيد كل ما أثير من شكوك حول استقلالية علم الاجتماع .فتحدث في:

- الفصل الأول: عن طبيعة الظواهر الاجتماعية

hadeel alnafea

- تعريف الظاهرة الاجتماعية
- خصائص الظاهرة الاجتماعية
- كيفية التعامل معها
- الوجود الخارجي للظاهرة

وجد دوركايم أن ثمة ظواهر معينة في الحياة الاجتماعية يتعذر تفسيرها في ضوء التحليلات النفسية أو الطبيعية.

فهناك أنماطاً من السلوك، وضروباً من التفكير والشعور، تتميز بأنها خارجة عن الفرد، كما تتمتع بقوة قهر.

والأمثلة عن هذه الظواهر عديدة :قواعد الأخلاق، الأسرة، الممارسات الدينية، السلوك المهني، اللغة، النقود،.....

تمتاز الظواهر الاجتماعية بصفات ذاتية أهمها :-

1. الظواهر الاجتماعية ظواهر إنسانية تنشأ بنشأة الاجتماع وبهذه الصفة تتميز هذه الظواهر عن الظواهر التي تدرسها علوم الرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء، والبيولوجيا العامة والجيولوجيا والجغرافيا.

ومادام الاجتماع الإنساني يعتبر مملكة صغيرة داخل مملكة الكون كله (داخل الطبيعة)، وقد ثبت أن ظواهر هذه المملكة الأخيرة (الطبيعة) خاضعة لقوانين ثابتة ضرورية وصلت إليها طائفة غير قليلة من العلوم الوضعية ، فليس ما يمنع من تطبيق هذا المبدأ على مملكة الإنسان بمعنى أن ما يكون صحيحاً بالنسبة للكل يكون صحيحاً بالنسبة للجزء.

وبذلك تكون الظواهر الاجتماعية خاضعة لقوانين شأن ظواهر العلوم الأخرى والبحث عن هذه القوانين ودراستها يجب أن يكون موضوعاً لعلم مستقل هو علم الاجتماع.

2. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها عبارة عن أساليب وقوالب وأوضاع للتفكير والعمل الإنساني .
وتلك الخاصية تحدد الصفة الإنسانية كإطار للظاهرة الاجتماعية.
فيسير عليها الأفراد في مختلف شؤونهم المتعلقة بالأسرة والمعاملات الاقتصادية والأوضاع السياسية والطقوس الدينية والمعايير الأخلاقية.

3. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها ظواهر موضوعية أي شيئية ولها صفة الخارجية، أي لها وجوداً خاصاً خارج شعور الأفراد، وهذه أول صفة يذكرها كتابه قواعد المنهج ، ويقصد دور كايم بهذه الصفة أن الظاهرة الاجتماعية موجودة في المجتمع خارج شعور الفرد كحقيقة موضوعية (شيئية) دائمة، وتنتقل من جيل إلى جيل، وهي ثابتة لا تتغير بتغيير الأفراد إلا في حدود ضيقة وهى سابقة في الوجود على الوجود الفردي بمعنى أن الأفراد منذ ولادتهم يخضعون لنظم وظواهر اجتماعية سابقة على وجودهم في هذه الحياة.

القول أن للظواهر الاجتماعية وجوداً خارج شعور الأفراد ، يعني أنها ليست من صنعه، بل هو يتلقاها من المجتمع الذي نشأ فيه.

وهي ليست وليدة التفكير الذاتي، لأنها هي التي تكون هذا التفكير لدى مختلف الأفراد بطابع متجانس إلى حد كبير أو قليل، حسب درجة التقدم التي وصل إليها المجتمع.

فالغاية الأساسية لعلم الاجتماع هي تحقيق الموضوعية .وما دامت الظواهر الاجتماعية موضوعية على هذا النحو فإنها تصبح مثل الأشياء.

وباختصار: يقصد دوركهايم بالصفة الخارجيّة وجود هذه الظواهر في اللُغة والدين والاقتصاد والقانون ... ودوامها من جيل إلى جيل، وعدم تأثرها بتغيير الأفراد ؛ وذلك لكونها مُستمرّة وبشكل معيّن ، ويولد الأفراد ليجدوها سابقة على مولدهم ، ويعرفونها ويأخذون بها عن طريق التعليم والتنشئة الاجتماعية.

ويستدل دوركهايم على خارجية الظواهر بشواهد وأمور كثيرة أهمها:

أ- أن الظاهرة الاجتماعية منفصلة عن تجسداتها الفردية، أي عن صور انعكاسها في شعور الأفراد وفي أعمالهم. وليس بالضرورة أن تتحقق الظاهرة الاجتماعية بصورتها الكاملة في التطبيقات الجزئية (الحالات الفردية)، والدليل على ذلك أنه من الممكن وجود ظواهر دون أن يطبقها الأفراد بالفعل.

ب- أنّ معظم الظواهر الاجتماعية مكتوبة وأغلبها مُدوّن في كُتب ودساتير وقوانين موضوعة تحدد وتثبت وجودها الواقعي، وهذا ما نجده مثلاً في النظم التشريعية والدينية والأسرية والظواهر اللغوية والأمثال الشعبية، وأصول العقيدة والدين والسياسة واللغة. ذلك أن للدين كتباً منزلة وللسياسة دستوراً، وللغة قواعد وآداباً....

ج- بعض هذه الظواهر الاجتماعية يمثل إرثاً إنسانياً ورثه الأفراد عن الأجيال السابقة ولتزمون حدوده ومراسيمه ويحققونه في حياتهم العملية ويسيرون عليه في شئونهم الاجتماعية.
وهذا يتحقّق عمليّا في العادات والأعراف والتقاليد التي تظهر بشكل واضح في مناسبات معينة مثل الأعياد والمواسم.

د- تبدو الظواهر الاجتماعية في صورة اتجاهات وتيارات يمكن تحديدها كمياً وكيفياً .وهي تشكل موجات فعليّة تظهر في المجتمع مثل الإقبال على الانتحار أو الطلاق في بعض الظروف الاقتصادية؛ وازدياد ظواهر الإجرام والتشرد والتسوق، أو الإكثار من النسل ... ، وهي موجات يمكن تحديدها تحديداً إحصائيا.

4. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها تلقائية ليست من صنع فرد أو أفراد، وإنما هي من صنع المجتمع ومن خلقه وتظهر على مسرحه بصورة تلقائية ومن وحي" العقل الجمعي". فالنظم والأوضاع قد نشأت منذ نشأة الحياة الاجتماعية بصفة طبيعية .وعلى هذا فالظواهر الاجتماعية تنطوي على صفات ذاتية من جنس خاص جداً، وتنحصر هذه الظواهر في ضروب السلوك والتفكير والشعور وهي توجد خارج شعور الفرد وقد زودت بقوة قهر تمكنها من فرض نفسها عليه.

5. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها ظواهر عامة وخاصة العمومية من الخواص التي أكد عليها دوركايم في كتابه قواعد المنهج ويقصد دور كايم بالعمومية الانتشار في داخل المجتمع.
وهي بذلك تشترك مع ظواهر الطبيعتين الحيوية والنفسية.
الظاهرة لا تكون عامة إلا إذا كانت اجتماعية، أي تشكل حالة من حالات الجماعة، وتتحقق لدى الأفراد لأنها تفرض عليهم فرضاً.

وتتخذ العمومية ثلاثة مظاهر وهي :-

- أن يكون انتشارها في نماذج اجتماعية مختلفة.
- أن يكون انتشارها في طائفة من المجتمعات التي تتشابه في ظروفها الطبيعية والمورفولوجية والاجتماعية (أي مجتمعات من نوع واحد).
- أن تنتشر الظواهر الاجتماعية في محيط مجتمع معين في جميع هيئاته وطبقاته وريفه ومدنه.

hadeel amira

6. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها مزودة بصفة الجبر والإلزام ، أي بقوة قاهرة تفرض نفسها فرضاً على الأفراد ولا يسع هؤلاء أن يخالفوها ، فإذا حاول فرد أن يجرى في سلوكه وأعماله على أساليب وأوضاع تخالف ما رسمه المجتمع في مختلف شئونه السياسية والقضائية والأسرية شعر الفرد بخطورة اتجاهاته.

ويعتبر دور كايم صفة القهر والإلزام أهم الصفات لأنها هي التي تؤكد على موضوعية الظواهر الاجتماعية ، وهي بهذه الصفة تشبه ظواهر العلوم الأخرى ولذلك تصبح هذه الصفة صفة علمية عامة تشترك فيها على قدم المساواة مثل الظواهر الكونية والحيوية والنفسية والاجتماعية.

تعريف الظاهرة الاجتماعية

وبعد تحديد هذه الصفات ينتهي دور كايم إلى تعريف الظاهرة الاجتماعية بأنها عبارة عن السلوك العام واتجاهات وأساليب وأوضاع يصب فيها الإنسان تفكيره وأعماله ، وليست هذه الظاهرة من صنع فرد أو بضعة أفراد ولكنها من صنع المجتمع وهى عامة ولها كيان خاص مستقل عن الصور التي تتشكل بها في الحالات الفردية ومزودة بقوة ملزمة مجبرة.

<u>ثانياً: تبويب الدراسات الاجتماعية وتحديد فروعها</u>

عرض دوركايم لتبويب علم الاجتماع في بحث شهير له عنوانه: «علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية»

وقد نشر هذا البحث مع بحوث أخرى في مناهج بعض العلوم كتبها أعلام المفكرين، في كتاب عنوانه: «المنهج في العلوم»

أن هذا الموضوع له أهمية كبيرة لارتباطه بتحديد ميدان الدراسات الاجتماعية ، فمن الممكن أن نحدد الدعائم الأساسية التي يقوم عليها مثل هذا التبويب.

ولعل أول مسألة تصادفنا هي دراسة المجتمع البشري من الناحية الخارجية.

لأن المجتمع بصفة أساسية يتكون من رقعة ارض تختلف مساحتها اتساعا وضيقاً ، وتختلف من حيث تضاريسها وبنيتها الجغرافية وظروفها الطبيعية وتختلف أيضا من حيث الخصوبة والجذب ، أن هذه الأمور تؤثر تأثيراً مباشرا في مختلف مظاهر النشاط الاجتماعي.

هذه الناحية الخارجية للمجتمع يجب أن تكون موضوعا أساسيا لعلم اجتماعي يدرسها ويحللها ، ويسمى دور كايم هذا العلم بـ(المورفولوجيا الاجتماعية) أو علم البنية والتركيب الاجتماعي ، ويجب إلا تقتصر دراسات هذا العلم على الناحية الوصفية فحسب ، بل ينبغي أن يشرح ويحلل ويصل إلى الأسباب العميقة الكامنة في طبيعة الحياة الاجتماعية.

فمن الأمور التي ينبغي أن يوجه لها مزيد من عنايته معرفة أسباب تكاثف السكان في جهات معينة دون الأخرى ، وموضوع الهجرة من الريف إلى المدن وبالعكس، والعوامل التي تساعد على نمو المدن أو تؤدى إلى انحلالها والمسائل المتعلقة بتخطيط المدن وقيام الوحدات المحلية والريفية.

ويضع دور كايم الاجتماع الديني على رأس فروع هذا العلم لأنه يعتقد أن الدين هو أهم الظواهر الاجتماعية واقوي دعائمها ، وأن العقائد والطقوس والعبادات وما إليها تفرض نفسها بقوة على المجتمع وتجعل من أفراده وحدة حية متماسكة.

وتعتبر الظواهر الأخلاقية مجموعة من الأحكام والعادات والتقاليد التي يخضع لها الأفراد في معاملتهم مع بعض فلا أقل من أن تكون موضوعا لشعبة اجتماعية هي علم الاجتماع الأخلاقي ، وبعد الأخلاق يذكر دور كايم الاجتماع القضائي أو القانوني ، فالناحية التشريعية والقضائية تمثل ناحية هامة من نواحي الحياة الاجتماعية.

وبعد ذلك يذكر دور كايم النظم الاقتصادية وهى النظم المتعلقة بظواهر إنتاج الثروات وتبادلها وتوزيعها واستهلاكها ، وتكون هذه الموضوعات مادة علم الاجتماع الاقتصادي

ويقول دور كايم أنه بجانب هذه الفروع الأساسية ينبغي أن يقوم علم الاجتماع اللغوي الذى يدرس الظواهر اللغوية دراسة وصفية تحليلية لأن اللغة حقيقية اجتماعية ، فهي ظاهرة اجتماعية ومظهرها من مظاهر حياة الجماعة وهى من أهم العناصر المميزة للمجتمعات.

وبجانب اللغة يقوم الفن الذى يمثل الناحية الجمالية في المجتمع ومعايير أذواق الأفراد وفنونهم من شعر ونثر وخطابة ونحت وتصوير ، فينبغي أن تكون موضوعا لعلم اجتماعي خاص هو علم الاجتماع الجمالي.

ويلخص دور كايم بعد ذلك تبويبه في تقسيمات ثلاثة هي :-

1) القسم الأول: المورفولوجيا الاجتماعية ويشمل:-
- دراسة جغرافية للبيئة وسكانها وعلاقة ذلك بالتنظيم الاجتماعي.
- دراسة السكان من حيث التخلخل والتوزيع على المساحة وما يتصل بذلك.

2) القسم الثاني: علم الوظائف الاجتماعية ويشمل:-
- الاجتماع الديني
- الاجتماع الأخلاقي.
- الاجتماع القضائي.
- الاجتماع الاقتصادي
- الاجتماع اللغوي.
- الاجتماع الجمالي.

3) القسم الثالث: علم الاجتماع العام وهو فلسفة العلم

hadeel amera

المحاضرة الثانية عشر بعنوان

الفلسفة الاجتماعية عند دوركايم جزء (2)

عناصر المحاضرة

ثالثاً: أسس للدراسة الاجتماعية ومناهج البحث.

رابعاً: أشهر النظريات الاجتماعية التي عالجها.

خامساً: نقد نظرياته.

ثالثاً: أسس الدراسة ومنهج البحث.

وأهم ما ينبغي الإشارة إليه من أسس الدراسة هو ما يلي:-

1. يجب دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء بمعنى أنها تعالج كما تعالج الظواهر الوضعية الأخرى ، وفى ضوء هذا الاعتبار تتحقق موضوعية الظاهرة وشخصيتها العلمية.
2. يجب على الباحث أن يتحرر من كل فكرة سابقة يعرفها عن الظاهرة موضوع الدراسة حتى لا يقع أسيرا لأفكاره الشخصية ومدركاته السابقة ، ويجب عليه أن يتحرر من تلك الآراء الكاذبة التي يتوارثها الأفراد بصدد شئون الحياة الاجتماعية ، لن هذه الأفكار السطحية قد تكونت دون منهج معين ، فليس لها أية دلالة علمية أو قيمة موضوعية.
3. يجب على الباحث أن يبدأ بتعريف الظواهر التي يتخذها مادة لدراسته لأن الإنسان لا يستطيع أن يتحقق من صدق نظرية ما ، إلا إذا قام بتحديد الظواهر التي ينبغي أن تفسرها هذه النظرية ، وان تعريف هذه الظاهرة يؤدى بالباحث إلى الوقوف على عناصرها الأساسية التي تفسر وجودها وتكشف عن طبيعتها وتعين أشكالها المختلفة.
4. يجب على الباحث عند دراسته لطائفة خاصة من الظواهر الاجتماعية أن يبذل قصارى جهده في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن صورتها الفردية.

فكلما تحررت الظواهر الاجتماعية من الصور الفردية التي تتشكل فيها استطاع الباحث كشف طبيعتها وإدراك حقيقة أمرها، ويتبع هذه القاعدة أن الباحث لا يتأثر بمشاعره الخاصة أو بتجربته الشخصية عند دراسة موضوع اجتماعي.

هذه هي أهم أسس الدراسة التي نبه إليها دور كايم أما فيما يتعلق بقواعد وخطوات المنهج فتتلخص في:-

- دراسة نشأة الظاهرة والوقوف على عناصرها فلا يمكن فهم طبيعتها إلا بتحليلها إلى عناصرها المكونة.
- دراسة تطور الظواهر والوقوف على مختلف أشكالها فلا يقتصر في شرح الظاهرة على حالتها الحاضرة ولكن ينبغي الرجوع إلى الماضي وربطه بالحاضر.
- دراسة العلاقات التي تربط الظاهرة بما عداها من الظواهر التي تنتمي إلى شعبتها ، ولا بأس من دراسة علاقتها بظواهر أخرى ليست من فصيلتها.
- الانتفاع بمنطق المقارنة في دراسة الظواهر.
- الكشف عن الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها الظاهرة ومدى ما خضعت له هذه الوظيفة من تطور.

❖ تحديد القوانين التي يصل إليها الباحث من دراساته ويجب صياغة هذه القوانين بدقة لأنها هي التي تكون مادة العلم ويفضل دقتها وضبطها ويتعين مركزه بين سائر العلوم.

والخطوات المشار إليها تدلنا على أن الدراسة في علم الاجتماع يجب أن تكون دراسة تاريخية مقارنة، ولذلك كانت الدراسة التاريخية لازمة وضرورية لفهم أصول النظم الحاضرة ووضع النظم المستقبلية على أساس سليم ، وتتخذ المقارنة صوراً ثلاثاً هي:-

- أن تكون المقارنة بين نظم وظواهر في مجتمع واحد.
- أن تكون المقارنة بين نظم سائدة في مجموعة من المجتمعات المتجانسة من حيث الدرجة والنوع.
- أن تكون المقارنة بين نظم سائدة في مجتمعات متمايزة وغير متشابهة ولست من شكل اجتماعي واحد.

رابعاً: أشهر النظريات الاجتماعية التي عالجها

1) نظريته في شؤون الاجتماع.

طبيعة المجتمعات وأشكالها: يمكننا تقسيم المجتمعات كلها بصفة عامة إلى قسمين وهما:

مجتمعات محدودة النطاق: ساذجة ، وبسيطة غير معقدة التركيب وغير مميزة الوظائف وغير خاضعة لمبدأ توزيع العمل وذلك مثل الترابطات أو الاجتماعات الإنسانية الأولي التي لا نجد فيها تمييزا بين الوظائف ، فليس ثمة هيئة خاصة تقوم بشئون الاقتصاد أو بالتشريع أو بالتربية ولكن كتلة المجتمع كلها تقوم في آن واحد بكل شئون الاقتصاد والسياسة والتشريع.

ويذهب دور كايم إلى أن أول شكل اجتماعي يمكن تصوره أو افتراضه لنشأة الحياة الاجتماعية هو الترابط ثم العشيرة ثم الاتحاد وأخيرا القبيلة ، ويذهب دور كايم كذلك إلى أن الدين هو أقوى مظاهر الحياة الجمعية في هذه الأشكال ويسمى دور كايم هذه الأشكال (المتجمعات البدائية).

مجتمعات واسعة النطاق: معقدة التركيب ومميزة الوظائف وتخضع لمبدأ توزيع العمل وهي ما يسميه دور كايم بالمجتمعات التاريخية ويضرب لها مثلا نظام المدينة (كالمدن اليونانية والرومانية) والإمبراطوريات القديمة (كالإمبراطورية الرومانية) وفي هذه المجتمعات تتوزع الأعمال وتتنوع الوظائف وتزيد درجات التخصص ويصبح الفرد أداة من أدوات الإنتاج وعنصرا من العناصر الاجتماعية أما النماذج الحديثة فيغلب عليها سلطة القانون وقوة التعاقدات والمعاملات القانونية.

2) نظريته في الدين

تقوم نظرية دور كايم في الدين على أساس تقسيم الظواهر الدينية إلى قسمين:

- القسم القدسي: وهو الذى يتعلق بالعقائد وما يتصل بها.
- القسم العلماني: وهو الذى يتعلق بالطقوس والعبادات وما يتصل بها.

ويقصد بالقسم القدسي كل شيء من نظريات الديانات يكون من طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن أشياء العالم العلماني ، فقد يدخل في هذا القسم (الآلهة والكائنات الروحية والنصوص الدينية والأحجار المقدسة) فكل ما يمتاز به القسم القدسي أنه من طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن الأشياء العلمانية.

hadeel alnafea

أما القسم العلماني في نظريته فهو عبارة عن الأعمال والطقوس التي تنظم سلوك الإنسان حيال القسم القدسي ويتمثل هذا القسم في الصلاة والصوم والحج والدعاء والزكاة وما يلجا إليه الإنسان من حركات وأعمال لتفسير موقفه من كائنات القسم الأول.

ودرس دور كايم أصول الديانات الإنسانية ووجد أن المفكرين ذهبوا بصدد هذا الموضوع إلى مذهبين : المذهب الطبيعي والمذهب الروحي.

ويرى أنصار المذهب الأول أن الإنسانية اتجهت في فجر نشأتها إلى عبادة مظاهر الطبيعة التي تتمثل في الشمس والكواكب والقمر والنار والأشجار وما إليها.

ويرى أنصار المذهب الروحي أن الإنسانية في بدء تدينها لجأت إلى عبادة الكائنات الروحية التي تتمثل في الآلهة والملائكة وأرواح الموتى.

3) نظريته في المعرفة الإنسانية :

وطبق دور كايم نظريته على المقولات أو المبادئ العقلية مثل:

فكرة الزمان والمكان والجنس والعدد والجوهر وما إلى ذلك من المعاني الكلية.

فالتقسيم الزماني قسمه إلى أيام وأسابيع وشهور وسنين يطابق التكرار الزمني لمواعيد الطقوس والأعياد والحفلات العامة.

وكذلك الحال بصدد فكرة المكان فقد كان التنظيم الاجتماعي نموذجا للتنظيم المكاني ، وكان الثاني نتيجة طبيعية للأول.

وفى هذا النطاق الاجتماعي يمكننا أن نفسر كثيرا من المبادئ العقلية ومقولات التفكير كفكرة الجنس ، فمعنى الجنس يتضمن القرابة بين الأنواع ومعنى النوع يتضمن القرابة بين الأفراد ، ومعنى العلة يتضمن وجود قوة موحدة ، ومعنى الكلي يتضمن مجموع الموجودات ، ومعنى الواجب ينطوي على معنى السلطة وهذه كلها أمور اجتماعية ولا يمكن تصورها بعيدا عن المجتمع.

درس دور كايم الأسرة بوصفها أول خلية في المجتمع وانتهى من دراسته إلى أن الاجتماع الأسري لا يقوم على الغريزة ودوافع الطبيعة والقرابة ولكن هذا الاجتماع يقوم على قواعد وأساليب يرتضيها العقل الجمعي وتدعو إليها الحياة الاجتماعية ، وقرر بصدد دراسته لنطاق الأسرة أنه تطور من الاتساع إلى الضيق.

وكان لهذا التطور أثره في وظائف الأسرة فقد تطورت هذه الوظائف من الأوسع إلى الواسع ثم إلى الضيق فالضيق ، فكانت الأسرة القديمة أشبه بمملكة مستقلة تقوم بمختلف الوظائف الاجتماعية وهي التي تقوم بشئون الإنتاج والتوزيع والاستبدال الداخلي والخارجي، وكان رئيس الأسرة هو حاميها ومحاميها ومربيها وكاهنها.

ثم اخذ المجتمع ينزع من الأسرة هذه الوظائف فانتزع منها وظيفتها السياسية وجعلها من اختصاص الدولة وانتزع منها الوظيفة التشريعية وجعلها من اختصاص البرلمان، والوظيفة القضائية وجعلها من اختصاص المحاكم، والوظيفة التربوية وجعلها من اختصاص المدارس، وهكذا شأنه بصدد باقي الوظائف ، ولم يبق للأسرة إلا على وظيفتها الأخلاقية فهي في نظر دور كايم الوظيفة الأساسية.

وتدور هذه الوظيفة حول عمليات التنشئة الاجتماعية ، ودرس دور كايم محور القرابة في الأسرة وقرر في هذا الصدد أن القرابة لا تحددها صلات الدم ولا الروابط الطبيعية، إنما تخضع لما يتواضع عليه المجتمع من نظم وما يقره العقل الجمعي من أوضاع.

nader alnafea

4) نظريته في الانتحار:

درس دور كايم ظاهرة الانتحار والواقع أن الانتحار في ذاته مرتبط اشد الارتباط بالحالة الاقتصادية والدينية والعرف والتقاليد وما إلى ذلك من شئون الحياة الاجتماعية.

واعتمد دور كايم في دراسته على البحث عن العوامل الاجتماعية الكامنة في طبيعتها ، وهذه العوامل عبارة عن أسباب خارجة عن ذوات الأفراد تنشأ من طبيعتها ، وهذه العوامل عبارة عن أسباب خارجة عن ذوات الأفراد تنشأ من طبيعة الظروف المحيطة بالمجتمع وهي أسباب عامة وواحدة في فترة معينة، وقد تكون هذه الأسباب الاجتماعية مرتبطة بالأزمات الاقتصادية والدينية والسياسية.

وبانهيار الروابط الأسرية وقيام الحروب والثورات وما إلى ذلك من الأمور العامة في المجتمع ، وصل دور كايم من وراء دراسته إلى قانون اجتماعي ملخصه أنه كلما قويت هذه الهيئات الثلاث (الدين والأسرة والدولة) واشتدت سلطتها على الأفراد الذين ينتمون إليها كلما قل عدد المنتحرين.

ولكن إذا اضعف كيانها ووهنت سلطتها واضمحل نفوذها تحرر الأفراد من رقابتها وانهار الشعور الجمعي في نفوسهم وتغلت الروح الفردية ولا يجدون في نفوسهم أثرا للوازع الديني أو العائلي أو القومي ومن ثم يتصرف الأفراد حسب إرادتهم الخاصة وهنا يكثر الانتحار.

خامساً: نقد آرائه

وجهت إلى العلامة دور كايم انتقادات كثيرة حول نظرياته منها:-

أن صفة الجبر والإلزام التي تتميز بها الظواهر الاجتماعية تجعل من الفرد رقيقا للمجتمع وتقضى على حريته وتحط من قيمته الأخلاقية والعقلية ، فالفرد إذ يؤدي عملاً من الأعمال لا يؤديه لكنه يدرك معقوليته أو خبرته ولكن لأنه مفروض عليه بنوع من القهر والإلزام

أغفل دور كايم عند تقسيمه للعلوم الاجتماعية الخاصة نواحي هامة ما كان ينبغي أن يهملها فتراه لم ينشئ فرعا لدراسة النظم الاجتماعية البدائية أو دراسة المجتمعات المتأخرة مع أنه هو نفسه يعتمد في كل دراسته اعتمادا كليا على هذه المجتمعات.

تقسيم دور كايم للمجتمعات تقسيم ناقص فقد وقف عند الإمبراطوريات القديمة وكان من الواجب أن يضع في تصنيفه المجتمعات الإقطاعية ونشأة القوميات والدول الحديثة ثم الإمبراطوريات الاستعمارية الحديثة ونشأة الوحدات الإقليمية والدولية.

نظريته في المعرفة تحط من قيمة العقل الأخلاقية ولا تفسر لنا طبيعته فإنها لا تتناول طبيعة العقل فى ذاته بالبحث والتحليل ولا تمس جوهره ولكنها تقرر وجوده على نحو ما وتعني بالبحث عن أصول المعاني والمبادئ اللازمة لعمله.

لا يمكن التسليم بصحة نظريته في الدين لأن نظريته لم توفق إلا في الطقوس والعبادات ولكنها لا تقوى على تفسير ظواهر النبوة والوحي والمعجزات وخوارق الطبيعة ونزول الرسالات عن الذات الإلهية وهذه الظواهر هي الدعائم الأساسية التي ترتكز عليها الديانات السماوية المنزلة التي تعتنقها معظم المجتمعات الإنسانية وهي اليهودية والمسيحية والإسلام.

nadeel almatra

يؤكد دور كايم طبيعة الأسرة الاجتماعية ويضغط على وظيفتها الأخلاقية ويغالي في تقديرها غير أن للأسرة بجانب ذلك وظائف أساسية لا غني عنها يتعلق بعضها بالناحية البيولوجية وحفظ النوع ودوام بقائه ، ويتعلق البعض الآخر بصقل النشء للاستجابة مع مطالب هذه الحياة.

وإذا قارنا بين بحوث دور كايم وبحوث أرسطو لا تخلو من طرافة ودقة في التحليل فقد اعتبر الأسرة أول خلية في بناء المجتمع، وهى أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة، ثم أين هي مشكلات الأسرة؟ وكيف ندرؤها .ولم يعالج دور كايم ما كان ينبغي عليه أن يعالجه.

hadeel almafea